

خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب وعيد الشباب

الرباط، 19 جمادى الأولى 1421هـ الموافق 20 غشت 2000م

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه،

شعبي العزيز،

بمشاعر فياضة بالابتهاج والافتخار نحوي ذكرى ثورة الملك والشعب هذه الذكرى التي تخلد التحام الأمة جمعاء بقائدها وبطل تحريرها جلاله جدنا المقدس مولانا محمد الخامس نغمده الله بواسع رحمته وجزيل مغفرته .

وعلى الرغم من أنه مر على أحداث هذه الثورة نحو نصف قرن، فإن وقائعها ما تزال متمثلة في أذهان المغاربة المطبوعين على الوفاء والإخلاص ومرتسمة في قلوبهم يستحضرونها كل عام وسيظلون مستذكريين لها مهما امتدت السنون والأعوام ومن خلالها يسترجعون صحائف رائعة من التاريخ المجيد الذي كتبه أبناء هذا الوطن بدمائهم الزكية الطاهرة وبأحرف نورانية باهرة .

لقد شكلت هذه الثورة نقطة تحول بين مرحلتين جهاديتين تميزت الأولى بالكفاح الوطني الذي خاضه جدنا -نور الله ضريحه- ضد الاستعمار البغيض من أجل التحرر واستعادة السيادة مدركا أن بلوغ هذا الهدف مشروط بقيام إصلاح فكري ينطلق من التشبث بالعقيدة ويتخذ التعليم سبيله لتوعية جديدة . وبهذا أمكن خوض النضال السياسي الذي برز في المواقف البطولية التي كانت لجلالته في مواجهة أعنف التحديات التي كانت تصدر من الاستعمار والتي بلغت مداها بنفيه وأسرته الشريفة بعيدا عن الوطن في تأمر على الشرعية والمشروعية .

وبفضل صموده -أكرم الله مثواه- وما لقي من مساندة قوية بلورها الشعب الأبوي في افتدائه ملكه وجعل تحرر المغرب رهينا بعودة ملكه الشرعي ورمز سيادته فشلت المؤامرة وعاد الملك المجاهد يحمل بشرى انتهاء عهد الحجر والحماية ويزوغ فجر الاستقلال والحرية .

وكان بعد هذا أن بلغ الجهاد مرحلته الثانية مرتبطة بالشروع في بناء مغرب حديث لم تلبث بعد وفاة القائد المحرر أن واصلها خلفه ووارث سره والدنا المنعم جلاله الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، فبنى وشيد وحدث وجدد وبوأ المغرب على عهده الزاهر الزاخر مكانة مرموقة تدعونا اليوم -وقد حملنا الأمانة- إلى متابعة المسير بايمان راسخ وخطى ثابتة وبعزم قوي على الإصلاح والتغيير وتحثنا على الدعاء بالمغفرة والرضوان لجدنا ووالدنا المكرمين وجميع شهداء الوطن الأبرار وسائر المقاومين والمجاهدين الذين قدموا تضحيات جسيمة وافتدوا بالنفس والنفيس هذا المغرب الذي ننعم جميعا به في ظل الحرية والعزة والكرامة .

شعبي العزيز،

إنه لمن حسن الطالع ويمنه أن تحل ذكرى هذه الثورة الخالدة في هذا اليوم المبارك المجيد وتحل غداته ذكرى ميلادنا السعيد . واعتزازا بما كان لجدنا، رحمه الله، من رؤية مستقبلية متجددة حين قرر، رحمه الله، سنة 1956 أحداث عيد الشباب وحدد له يوم ميلاد والدنا المنعم - ولي العهد يومئذ - باعتباره المثل الأعلى للشباب المتحمس لخوض معركة التنمية ومحاربة التخلف .

وجريا على العادة التي سنها والدنا المغفور له بجعل هذا العيد مناسبة تشاركه فيها أفراده ومسراته وتقاسم معه مباهجه وميراثه وينتهزها لمخاطبة الشباب بغالي نصائحه وتوجيهاته يطيب لنا أن نحتفي بذكرى ميلادنا في نفس هذا الإطار الاحتفالي المجيد الذي نريده أن يكون فرصة متميزة للالتقاء بالأجيال الصاعدة والتواصل معها والتحفز مما ترمز إليه من تطلع وطموح وما يملأها من قوة وإقدام لإثارة مختلف القضايا والمشاكل التي تواجهها والبحث عن حلول ناجعة لها والأخذ بيدها لتنتفتح على المجتمع وتندمج فيه بمواطنة إيجابية فاعلة ولتؤدي بذلك رسالتها وتحقق ذاتها وما تتطلع إليه من عز ومجد يدركهما من كد وجد .

وإذا ما تسنى هذا المطلب السامي للشباب الذي يهون عليه كل صعب والذي هو دعامة الغد المأمول أمكن التصدي الحازم لكل العوائق التي تكبل طاقاته وتستهدف زرع روح اليأس فيه وعزله عن واقعه بدفعه إلى الانطواء أو الاستلاب وأمكن بذلك فتح مجالات واسعة لاستيعاب جميع الطاقات واستثمارها في الإنشاء والتشييد والتعمير والتجديد وأمكن التجند للنهوض بمغربنا الحبيب بعزيمة ثابتة وبرؤية متفائلة بعيدة الأفق تنطلق من الكيان في مقومات شخصيته وأصالته لتساير العصر في شتى تطورات ومستجداته وتناهب لبناء المستقبل ورفع تحدياته .

شعبي العزيز،

وتبعاً لما كنا بينا في خطاب الذكرى الأولى لاعتلائنا عرش أسلافنا الأماجد مبرزين أهمية التربية والتكوين في بلوغ التنمية الشاملة وإدراك رقي المجتمع فقد قررنا إعطاء عناية خاصة لمحو الأمية التي ما زالت للأسف متفشية في الحواضر والبادي بنسب متفاوتة تتنافى مع وضع المغرب ومكائنه وتطلعاته إذ تشكل عائقاً يتطلب تعبئة مختلف الطاقات والفعاليات لاقتلاعه وإزاحته .

فبموازاة مع ما تنهض به الأجهزة الحكومية المعنية بهذا القطاع وما يقوم به المجتمع المدني وتأكيداً لما كنا أبرزنا في خطابنا من ضرورة إحياء دور المساجد وبعث رسالتها في تأطير المواطنين والمواطنات فقد أمرنا أن تفتح لدروس محو الأمية الأبجدية والدينية والوطنية والصحية وذلك وفق برنامج محكم مضبوط كلفنا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنفيذه بكل ما يقتضيه من مدرسين ومدرسات من المجازين العاطلين عن العمل وما يتطلب من كتب وأدوات وما إليها من تجهيزات. وقد ارتأينا أن يبدأ هذا التنفيذ مع انطلاق الموسم الدراسي الجديد في مجموعة من المساجد تم تحديدها على صعيد المغرب كله وأن تعطى فيها دروس تستجيب لحاجات المستهدفين وتواكب التطور والمستجدات .

وإننا لنأمل أن نتابع هذا الإنجاز الهام في السنوات الموالية بالزيادة في عدد المساجد وتوسيع مجالات المستفيدين والمستفيدات من هذه الحملة المباركة حتى لا تنقضي العشرية القادمة التي أردناها أن تكون للتربية والتكوين إلا وقد تغلبنا على هذه الأفة .

شعبي العزيز،

إلى جانب الاهتمام الذي نوليه لتنمية الموارد البشرية وإعداد شبابنا لولوج مجتمع المعرفة والتواصل فإننا ما فتئنا منذ تحملنا أمانة قيادتك نتخذ المبادرات ونقود العمليات ونشدد العزائم في سبيل تحقيق إقلاع اقتصادي وتنمية اجتماعية، غايتنا المثلى تشغيل الشباب والنهوض بالعالم القروي والفئات الاجتماعية والمناطق المعوزة ووسيلتنا العملية هي حفز الاستثمار العام والخاص وتفعيل التضامن الاجتماعي والاستثمار الأرشد لمواردنا الطبيعية الغنية والمتنوعة وتعبئة كل الطاقات لخوض ما دعوناه في خطاب العرش الأخير بالجهاد الأكبر الاقتصادي والاجتماعي .

ومصادقاً لما وعد الله سبحانه وتعالى به عباده المخلصين في قوله الكريم: «إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً» فقد شاعت إرادته تعالى أن يمد جهادنا الاقتصادي والاجتماعي بطاقة أساسية لخوضه .

وإنه ليسعدنا في غمرة الاحتفال بالمناسبتين المجيدتين أن نرفق إليك -شعبي العزيز- بشرى اكتشاف النفط والغاز من النوع الجيد بناحية تالسينت بالأقاليم الشرقية العزيزة علينا بكميات وافرة .

وإننا إذ نضرب إلى الباربي عز وجل أن يلهمنا شكر نعمته التي تفضل بها علينا لنهيب بكل فرد منك أن يقتدي بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ومبادرة سبطه خديك المتواضع ملكك أمير المؤمنين في أداء صلاة شكر على هذه النعمة الربانية استجابة لقول الحق سبحانه: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

وكم كنا نتمنى لو أن والدنا المقدس كان هو المبشر لك بهذا الاكتشاف لما كان له -رحمه الله- من سهر على مصالحك العليا ومن سعي إلى كل ما يفرحك ويسعدك وما كان له من نظرة بعيدة ومن حرص على أن يدخل المغرب الألفية الثالثة وهو مؤهل لمواكبة التحولات العالمية الجديدة والمساهمة الفاعلة فيها .

إننا ونحن نرفق إليك هذه البشري حامدين الله على عنايته بهذا البلد الأمين لحرص -شعبي العزيز- على أن نؤكد أن اكتشافنا للنفط بقدر ما يعني تحول المغرب من بلد مستورد لجميع حاجياته منه إلى بلد تزخر أرضه المعطاء بهذه المادة الحيوية، فإنه لا يعني بتاتا تحول المغرب إلى بلد بترولي ذي اقتصاد ريعي مورده الأساسي والأوحد هو ثروته النفطية .

وكما دعونا المقاولات الاجتماعية في خطاب العرش إلى نبذ اقتصاد الربيع وسلوك سبيل الاستثمار الخلاق المنتج فإننا نلح على أننا لن نهج أبداً في استثمار ما حبانا الله من هذه المنحة سييلاً تخلق به الدولة اقتصاداً ريعياً أو مجتمعاً استهلاكياً.

إن منظورنا لتدبير الثروة النفطية يرتكز على اعتبار البترول والغاز وقوداً لتفعيل الإقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية وتسريع وتيرتهما وأنه وسيلة وطاقات جديدة من بها الله علينا كي نضاعف من الجهد ومن العمل لتحقيقه وليست ولن تكون أبداً غاية في حد ذاتها أو ثروة تدعونا للتوكل والخمول والاستهلاك وتعطيل طاقاتنا وموهلاتنا البشرية والطبيعية .

كما أن هذا المنظور يبني على رصد ما قد يتوفر لنا من الاعتمادات المخصصة لاستيراده إعطاء دفعة قوية للاستثمار في تأهيل مواردنا البشرية باعتبارها طاقنا الأساسية وبالنظر لكون رأس المال البشري يشكل ثروة الاقتصاد الجديد وعماد تدبير وتحويل باقي الثروات الطبيعية .

وسنولي كذلك عنايتنا البالغة في مجال تمتين نسيجنا الاقتصادي وعصرنته لتنمية عالمنا القروي وفلاحتنا التي تشكل إحدى مقومات هويتنا ومصدر دخل نصف شعبنا الأبوي وملاذ تحقيق الأمن الغذائي لجميع رعايانا الأوفياء .

إن الثروة البترولية المكتشفة لن تشكل أبداً بديلاً لثروتنا الفلاحية بل ستكون أداة إغناء لها ووسيلة لتكثيف البحث الزراعي للاستفادة من التطور التكنولوجي في ميدان الإنتاج الفلاحي الذي سيزيد الفلاح تمسكاً بأرضه المعطاء وفي مجال اقتصاد الماء ونوعية الزراعات المناسبة لمناخنا .

ونود أن نؤكد لك -شعبي العزيز- أن اكتشاف موارد مائية جديدة وحسن تدبير الموجود منها وضمان أمننا الغذائي لا يقل أهمية عن اكتشاف الغاز والنفط. وعلاوة على استمرارنا في منح الأولوية للفلاحة والصناعات المرتبطة بها ومد بلادنا بما تحتاج من تجهيزات أساسية ومن سكن اجتماعي لائق، فإن الثروة النفطية المكتشفة لن تحجب عن بالنا إعطاء مكانة الصدارة لتقوية وتنمية قطاعاتنا المنتجة الواعدة والتي نتوفر فيها على قدرة تنافسية دولية والمتمثلة في السياحة والصيد البحري والتكنولوجيات الحديثة للإعلام والتواصل والخدمات والصناعة التقليدية والنسيج .

وفوق هذا وذاك فإننا نشدد على أن هذه المنة التي وهبنا إياها الله ستقوي إيماننا وإنسانيتنا وستمدنا بطاقة جديدة للجد والاجتهاد والابتكار والمثابرة ونكران الذات والتعاضد والتكافل وغيرها من القيم الحضارية للاستقامة والصلاح والتربية وحسن الخلق والتشبث العميق بالهوية والثوابت والمقدسات والانفتاح الواسع على حضارة العصر والاعتدال والتسامح؛ تلکم القيم والفضائل التي تشكل الجوهر الخالد للشخصية المغربية .

وذلك ما سيمكننا من تحقيق نهضة تنموية شاملة تتضافر فيها جهودنا جميعا وتتكامل فيها التنمية الاقتصادية والتضامن الاجتماعي وتتوافر فيها للمواطنين والمواطنات حياة عزيزة كريمة تتيح لهم التمتع بجميع الحقوق التي تخولها دولة الحق والقانون والمؤسسات والتي نحن لها ضامنون وعلى ترسيخها عازمون وفي نفس الوقت تيسر لهم أداء الواجبات التي هم بها ملزمون .

وإننا في ذلك نستلهم روح ثورة الملك والشعب وتجدها بتجدد أجيال الشباب المتتالية الحاملة لمشعل الكفاح والتضحية ونجدد آيات الشكر للمنعم العظيم على النحو الذي يحثنا الله عليه في قوله الكريم: «فهل أنتم شاكرون» صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.